﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النِّساء: 122]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن ذكر سبحانه حال الَّذين اتَّخذوا الشّيطان وليًّا، وما سيؤول إليه حالهم يوم القيامة، وأنّهم سيدخلون جهنَّم، ولا يجدون عنها محيصًا؛ أردف مصيرهم بمصير المؤمنين الَّذين يعملون الصّالحات، فبيّن استكمالًا لنهج القرآن في المقابلة أنّ جزاءهم الجنان يوم القيامة، وأنَّهم سيخلدون فيها أبدًا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَعْدَ﴾: جذر الكلمة هو: (وَعَدَ)، والمعنى المحوريُّ: الاحتواء على ما يوجد مستقبلًا زائدًا عن الحال؛ أخْذًا من قولهم: أرض واعدة؛ إذا رُجِي خَيْرُها من المطَر والأَعْشاب، وسَحَابٌ واعدٌ: كأنه يَعِد بالمطر، ومنه: وعده بالأمر: قال له: إنَّه يُجْريه له، أو يُنِيلُه إيَّاه[1]، والوَعْدُ يكون في الخير والشَّرِّ[2]، فإذا أسقطوا الخير والشَّرَّ؛ قالوا في الخير: الوَعدُ والعِدَةُ، وفي الشَّرِّ: الإيعاد والوعيد[3]، يُقال: وعدته بنفع أو ضُرٍّ وعدًا وموعدًا وميعادًا، والوعيد في الشَّرِّ خاصّة، قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: 22]، وقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا﴾ [القصص: 61]، ومن الوعد بالشَّرِّ قوله: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ﴾ [الحج: 47]، وذلك وعيد[4].

2) ﴿أَصْدَقُ﴾: جذر الكلمة هو: (صدق)، والمعنى المحوريُّ: صلابةٌ أو قوَّةٌ في باطن الشَّيء مع شِدَّة تماسُك جِرْمه؛ أخْذًا من قولهم: رُمْح صَدْق بالفتح: صُلْب، وصَدْقٌ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (وعد).
(2) الجوهري، الصّحاح، والراغب، المفردات: (وعد).
(3) الجوهري، الصّحاح: (وعد).
(4) الراغب، المفردات: (وعد).

الكعوب (وهي عُقَد الأنابيب)، أي: صُلْبها، وسَيْفٌ صَدْقٌ: صُلب، وثوبٌ صِدْق بالكسر والإضافة، أي: جَيِّد، وعين صَادقة: صُلبة صحيحة[1]، وصَدَقْتَه: قلتَ له: صِدْقًا، وكذلك من الوعيد إذا أوقعتهم؛ قلت: صَدَقْتَهم، وهذا رجلُ صِدقٍ، بمعنى: نِعمَ الرَّجلُ هو[2]، والصَّدقُ: الكامل من كلِّ شيء، والصِّدِّيق من يُصَدِّقُ بكلِّ أمرٍ لله والنّبيِّ ﷺ، لا يتخالجه شكٌّ في شيء[3]، والصّديق: المصدِّق، وفي التّنزيل: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: 75]، أي: مبالغة في الصِّدق[4].

3) ﴿قِيلًا﴾: جذر الكلمة هو: (قَوَلَ) القاف والواو واللَّام: أصل واحد صحيح، وهو القول من النُّطق، يقال: قال يقول قولًا، والمقولُ: اللِّسان، ورجل قولة وقوَّال: كثير القول[5]، القول: الكلام، ويقال: إنّ لي مقولًا، ما يسرُّني به مقول، وهو لسانه.

والقيل مصدر كالقول.

المعنى العامُّ للآية:

بعد أن توسّع في ذكر الوعيد في القطعة القرآنيَّة السّابقة؛ أردف هنا بالوعد، كما هو نهج القرآن وسنَّته المعهودة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فأتبع الإيمان بالعمل، وقوله: ﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ وعْدٌ من الله جزاء إيمانهم وأعمالهم الصَّالحة، وقوله: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ قد تعدّدَ ذكر أنهار الجنَّة في القرآن الكريم ووصفها، ثم قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، فدلَّ الخلود على الدَّوام في طول المكث المطلق، ثم أتبعها بقوله: ﴿أَبَدٗاۖ﴾؛ ليفيد التَّأبيد، وقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ تأكيد لصدق الوعد وحقيقته، ثم قال: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾، أي: لا أحد أصدق من الله قولًا ووعدًا، أمّا أولئك المغرورون المُعرضون عن شريعة الله؛ فقد اغترُّوا بخداع الشّيطان، ووقعوا في أحبولته[6].

وعن سبب نزول الآية: فقد رُوي عن أبي صالح قال: جلس أهل الكتب أهل التَّوراة

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (صدق).
(2) الخليل، العين، وابن سيده، المُحكم، والزَّمخشري، أساس البلاغة: (صدق).
(3) الخليل، العين: (صدق).
(4) ابن سيده، المُحكم: (صدق).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قول).
(6) الموصلّي، أولى ما قيل: 3/131.

والإنجيل وأهل القرآن، كلُّ صنفٍ يقول لصاحبه نحن خير منكم، فنزلت: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وقال مسروق وقتادة: احتجَّ المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نحن أهدى منكم، نبيُّنا قبل نبيِّكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نحن أهدى منكم وأولى بالله، نبيُّنا خاتم الأنبياء، وكتابنا يقضي على الكتب الَّتي قبله، فنزلت، ثم أظهر الله حجَّة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان بقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وبقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ الآيتان[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة المقابلة واقتضاء الوصل:

تعقيب الإنذار بالبشارة، والوعيد بالوعد

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عطف على جملة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [النِّساء: 121]؛ جريًا على عادة القرآن في تعقيب الإنذار بالبشارة، والوعيد بالوعد[2]، ويكون في ذلك مقابلة بين فريقين: الأوَّل: ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النِّساء: 121]، والثَّاني: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، وشتّان بين الفريقين، وأنّ كُلًّا منهما استوفى حقَّه ونصيبه ممَّا قدّم في الحياة الدُّنيا، ويمكن أن تكون الواو في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ استئنافيَّة؛ لأنَّ العطف يشرك المعطوف عليه في المعنى والإعراب، فلمّا كان ما قبله بيانًا لمصير الَّذين اتخذهم الشَّيطان أولياء ونصيبًا؛ فإنَّ بين المعنيين مقابلة بيّنة.

ومقتضى هذه المُقابلة أنَّه لمَّا ذكر ما للكافرين ترهيبًا؛ أتبعه ما لغيرهم ترغيبًا، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أي: بوعد لا خُلف فيه ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[3].

(1) النِّيسابوري، غرائب القرآن: 2/501.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/207.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 5/408.

التَّرغيب في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

لتطمئنَّ له قلوبهم، وتنشط نفوسُهم في أعمال الصَّالحات

لمَّا أخبر تعالى عن الكفَّار الَّذين اتَّخذوا الشَّيطان وليًّا من دون الله، وأنَّهم إلى جهنَّم صائرون؛ اقتضى ذلك كلُّه التَّحذير، فذكر هنا حالة المؤمن والتَّرغيب فيها، وأنَّ المؤمنين سيدخلهم الله تعالى جنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا، ولعلَّ ذلك غاية التَّرغيب بحالهم[1]، وذلك من مقتضيات الدِّعاية إلى الدِّين الحقِّ، وإلى حفاوة الله بالمؤمنين يوم القيامة، وبيان أنّ جزاءهم سيكون من لدن خالق الكون، وأنَّ ذلك الخبر هو من قبيل الغيب الَّذي يُهدى للمؤمنين في الدُّنيا؛ لتطمئنَّ له قلوبهم، وتنشط أرواحهم في أعمال الصَّالحات.

إيجاز الحذف في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

للاختصار، وإفادة العموم، وللجمع بين الإيمان والعمل الصَّالح دون فاصل

في قوله: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إيجاز بالحذف؛ فقد حُذفت متعلَّقات الإيمان، وهي أركان الإيمان: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرِّه، ودليل ذلك: أنّه ذكر أركان الإيمان كلّها أو بعضها في مضمون النَّص، فقد سُبقت الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: 116]، وبذكر مشاقة الرَّسول ﷺ، كما أنّ ذكر جهنَّم والجنَّة والاعتقاد بهما، هو من قبيل الإيمان باليوم الآخر، وذكرهما من قبيل الغيب والإيمان به، وسيأتي بعد هذه الآية ذكر إبراهيم كرمزٍ للرُّسُل، وذكر الكتاب وأهل الكتاب، ثمَّ إنَّ فحوى جميع ما ذُكر يُعزِّز قضيَّة الإيمان بالقدر خيره وشرِّه، وحُذِفَ الموصوفُ، واكتُفي بالصِّفة، في قوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وقدّم الإيمان على العمل، وهو من قبيل تقديم الأصول على الفروع؛ إذ الإيمان شرط لضمان الثَّواب على الأعمال، ولا ينفع العمل بلا إيمان.

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/115.

بلاغة الإطلاق والتَّقييد في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

الإيـــمـــان هـو أساس الأعمال الصَّالحات

فالوعد بالجنَّة، والرَّحمة في الآخرة، والسَّلامة من العذاب عُلِّقَت باسم الإيمان المطلق، والمقيَّد بالعمل الصالح ونحو ذلك، وهذا أنّ المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله[1]، والمؤمن؛ إذا آمن بالله، فقد التزم شرائع الإسلام والإيمان.

بلاغة الوصف بصيغة الماضي:

الـــدّلالـــة على القبول والثَّبات

وقد وصفت الآية الكريمة تلك البشرى للمؤمنين إيمانًا وعملًا صالحًا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وبصيغة الماضي الدّالَّة على القبول والثَّبات، فرتّب العمل الصّالح على الإيمان إقرارًا وتصديقًا، ويمتدُّ الوصف إلى أولئك الَّذين آمنوا، وعملوا الصّالحات قبل الإسلام، ففي الأمم السَّابقة مؤمنون وعاملون وأنبياء ومرسلون.

السِّرُّ في الاستغناء بالصِّفة عن الموصوف في قوله: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

تنبيهٌ إلى أنَّ المهمَّ في الأعمال كونُها صالحةً

وفي حذف الموصوف: وهي الأعمال، والاكتفاء بالصِّفة: وهي الصَّالحات؛ تنبيهٌ إلى أنَّ المهمَّ في الأعمال كونُها صالحة، وهو ما يستدعيه السِّياق.

كما أنَّ حذف الموصوف والاستغناء بالصِّفة إشارة إلى تنوُّع هذه الأعمال وكثرتها.

والعمل إنَّما يكون صالحًا؛ إذا توافر فيه شرطان: الأوَّل: الإخلاص لله ﷻ، قال ﷺ: "قال الله ﷻ: أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرك، مَن عمل عملًا أشرَكَ معي فيه غيري؛ تركتُه وشِركَه"[2]، والشَّرط الثَّاني: متابعة الرَّسول ﷺ قال ﷺ: "من عمل عملًا ليس

(1) ابن تيميّة، الإيمان: 273.
(2) مسلم، الحديث رقم: (2985).

عليه أمرُنا؛ فهو ردٌّ"[1]، وفي لفظ: "من أحدَثَ في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو ردٌّ"[2].

ويجمع الشَّرطين قولُ الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: ومن أحسن دينًا ممَّن أخلص العمل لله، وهو متَّبِع لرسول الله ﷺ وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: 22].

وسمِّيت الأعمال الصَّالحة بهذا الاسم؛ لأنَّ بها صلاحَ أمر الإنسان في دينه ودنياه وأخراه، وبها يكون صالحًا لدخول الجنَّات وجوار اللهِ ربِّ العالمين.

أهمِّيَّة تكرار الخبر في الوعد والوعيد:

توكيدًا وتذكيرًا

ورد هذا خبرًا عمَّا سيؤول إليه أمر الموحِّدين؛ لاكتمال الصُّورة لدى المتلقِّين بعد أن علموا ما سيؤول إليه حال الكافرين، فقد أخبر الله سبحانه في القرآن في مواضعَ عديدةٍ سبقت هذا الموضع، إلَّا أنَّه أعاده هنا توكيدًا وتذكيرًا، فهو سبحانه يُدخل العباد الجنَّة بالإيمان والعمل في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: 25]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 227]، وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [آل عمران: 57]، وفي النِّساء قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النِّساء: 57]، وكما هو بَيِّنٌ، فإنَّ هذه الآية مكرَّرة في هذه السُّورة، وقد أعاد هذه الآية دالَّة على العفو والمغفرة بلفظ واحد في سورة واحدة، وقد اتَّفقوا على أنَّه لا فائدة في التَّكرير

(1) مسلم، الحديث رقم: (1718).
(2) البخاريّ، الحديث رقم: (2697).

إلَّا التَّأكيد، فهذا يدلُّ على أنَّه تعالى خصَّ جانب الوعد والرَّحمة بمزيد التَّأكيد، وذلك يقتضي ترجيح الوعد على الوعيد[1].

دلالة نون العظمة في قوله: ﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ﴾:

تشريفًا لهم وتعظيمًا لمنزلتهم عند الله

أسند الفعل إلى نون العظمة؛ اعتناء بأنَّه تعالى هو الَّذي يتولَّى إدخالهم الجنَّة، وتشريفًا لهم، فهو المالك، وهو الضَّامن سبحانه... ولمَّا رتَّب تعالى مصير من كان تابعًا لإبليس إلى النَّار لإشراكه وكفره وتغيير أحكام الله تعالى؛ رتَّب هنا دخول الجنَّة على الإيمان وعمل الصَّالحات[2]، وقال: ﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ﴾ باعتبار ولائهم لله ولرسوله، فقابل موالاة الشَّيطان وما يلحقها من الخسران في الدّارين، بموالاة الله ورسوله، وما يتبعها من خيري الدُّنيا والآخرة، وقد وردت هذه الجملة الفعليَّة خبرًا عن الاسم الموصول ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، وممَّا قوَّى حكم الإسناد في الجملة، وزادها تمكينًا: وجودُ السِّين، ونون العظمة في الفعل.

سرُّ التَّنكير والجمع لقوله: ﴿جَنَّٰتٖ﴾:

للتَّعظيم والتَّفخيم والتَّكثير

أدَّى التَّنكير للجنَّات إلى أن يمنحها معنى التَّعدُّد والتَّنوُّع؛ تفخيمًا لتلك الجنّات وتعظيمًا لمن وُعد بها، ومن ستكون داره يوم الجزاء، فيتَّسع المعنى مع التَّنكير؛ ليشمل ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما ورد في حديث رسول الله ﷺ قوله: "إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ"[3]، وقد ورد وصف الجنَّات في مواضع عديدة من القرآن الكريم.

دلالة المضارع في قوله: ﴿تَجۡرِي﴾:

في قوله: ﴿تَجۡرِي﴾ استحضار لصورة السُّرعة، والتَّجدُّد، وما يحدثه فعل الجريان من النّقاء الدَّائم، ومعلوم - بحسب ما هو

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 11/220.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/74.
(3) الإمام أحمد، المسند: 8143.

عالق في أذهان المُخاطبين - أنَّ رداءة الماء تنتج عن ركوده، وإن كانت أنهار الجنان بحال غير حال الدُّنيا، إلَّا أنَّ أوصاف القرآن تأتي لما اعتاده النَّاس في سُنن الحياة الَّتي يعيشون؛ لتبقى صور التَّشبيهات فعَّالة ومؤثِّرة في الجواهر والقُلوب، وقد ورد وصف أنهار الجنَّة في قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمد: 15]، فهذه الأنهار مُتجدِّدة العطاء مستمرَّة التَّدفُّق، لا ينفدُ ماؤها، ولا يكدَّر صفاؤها، بل يبقى متجدِّدًا غير آسنٍ، كما ذكر القرآن الكريم.

التَّجدُّد والاستمرار واستحضار الصُّورة

بلاغة الإجمال في قوله: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾:

فالوصف مجمل في كلِّ الجنَّات الَّتي تجري من تحتها الأنهار، وما يُخيَّل للسّامع من روعة الصُّورة من الأشجار والظِّلال والنَّعيم والثِّمار والتَّنوُّع والجمال، وقل: ما شئت في وصف هذا الحال، وما لذلك كلِّه من آثار الرّاحة النَّفسيَّة الَّتي تُرافق حال القارئ، أو السّامع للآية، ثُمّ حال السّعادة والرَّفاه التي يعيشها أهل الجنَّة.

تُتيح فرصة التَّأمُّل وتنشيط الخيال؛ ليذهب القلبُ فيه كلَّ مذهب

المجاز العقليّ[1] في قوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾:

في قوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أُسند الجري إلى الأنهار، وهذا من المجاز العقليّ؛ لأنَّ الفاعل الحقيقيَّ هو الماء، لكنَّه جعل الأنهار هي الجارية، فقد أسند الفعل إلى غير فاعله، وعلاقته المكانيَّة، وفائدة هذا المجاز: أنَّه خُيِّل للسَّامع أنّ الأماكن هي الَّتي تجري، والإعلام بعذوبة الماء الَّذي يجري، فمعلوم أنَّ الماء الجاري يزداد عذوبة بجريانه؛ إذ يطرد الزَّبد عنه، وقرَّبَ وبعَّضَ بقوله: ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، أي: لريِّ أرضها، فحيثما أجرى منها نهر؛ جرى[2].

المبالغة في جريان الماء، وإيجاز القول، وإثارة الخيال

(1) هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، لعلاقة، مع وجود قرينة تمنع إرادة الإسناد الحقيقي.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 5/409.

سرُّ التَّعبير بالأبديَّة مع الخلود في قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾:

زيـــادة تأكيد لبقاء أهل الجنَّة في الجنَّة

قوله: ﴿أَبَدًا﴾ بعد ﴿خَٰلِدِينَ﴾ زيادة تأكيد لبقاء أهل الجنَّة في الجنَّة، وإنَّهم ما هم منها بمُخرجين[1]، فأكَّد الخلود، ودلَّ على أنَّه لا ينتهي عند حدٍّ بقوله: ﴿أَبَدًا﴾، وقد تكرَّر هذا الوعد في القرآن الكريم مرَّات كثيرة، وأهمُّها قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ [النِّساء: 57]، وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: 119]، وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٢﴾ [التوبة: 22]، وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ [التّغابن: 9].

قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، ولمَّا كان الخلود يطلق على مجرَّد المكث الطَّويل؛ دلَّ على أنَّ الخُلود المقصود هو خلود دائميٌّ، فقال: ﴿أَبَدًا﴾، ثمَّ أكَّد ذلك بأنَّ الواقع يطابقه، وهو يطابق الواقع، فقال: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾، أي: يطابقه الواقع، فلا يكون إلَّا ما وعد الله به صدقًا[2].

التَّأكيد والتَّقديم في قوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾:

التَّصديق بوعد الله طمأنة لقلوب المؤمنين

وقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران: الأوَّل: مؤكِّدٌ نفسه، والثَّاني: مؤكِّدٌ غيره؛ لأنَّ قوله: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ وعْدٌ منه تعالى، ومضمونه هو مضمون وعد الله، وأمَّا ﴿حَقًّا﴾؛ فمضمونه أخصُّ من مضمون الوعد؛ لأنَّ الوعد من حيث هو وعدٌ يحتمل أن يكون حقًّا، وألَّا يكون، فمضمونهما متغايران تغاير الجنس والنَّوع[3].

سرُّ التَّأكيد في قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾:

وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ القيل والقول واحد، أي: لا أحد أصدق قولًا من الله، وهي جملة مؤكِّدة أيضًا لما قبلها، وفائدة

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/74.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 5/410.
(3) النيسابوري، غرائب القرآن: 2/501.

هذا التَّوكيد المبالغة فيما أخبر به تعالى عباده المؤمنين، بخلاف مواعيد الشَّيطان وأمانيه الكاذبة المخلفة لأمانيه[1]، وقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾: لمَّا ذكر أنَّ وعد الشَّيطان هو غرور باطل؛ ذكر هنا أنَّ هذا الوعد منه تعالى هو الحقُّ الَّذي لا ارتياب فيه، ولا شكَّ في إنجازه، و﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ، و﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ﴾ الخبر، وانتصب ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ على أنَّه مصدر مؤكِّدٌ غيره، فوعد الله مؤكِّدٌ قوله: ﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ﴾، و﴿حَقّٗاۚ﴾ مؤكِّدٌ وعد الله[2].

المبالغة فيما أخبر به تعالى عباده المؤمنين

دلالة الاستفهام في قوله: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ﴾:

وقوله: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ استفهامٌ بمعنى: النَّفي، أي: لا أحد أصدق منه، وهو تأكيد ثالث، وفائدة هذه التّوكيدات: مقابلة مواعيد الشّيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصّادق لأوليائه[3].

بمعنى النَّفي، أي لا أحد أصدق منه

ذكر ابن عاشور هنا: أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ، والقيل: القول، وهو اسم مصدر بوزن فعل يجيء في الشَّرِّ والخير[4]، ويصدق ذلك؛ إذْ جاء الاستفهام معارضًا لمواعيد الشّيطان.

نكتة التَّقديم في قوله: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾:

وأصل الجملة: ومن أصدق قولًا من الله؟ فقدَّم الجارَّ والمجرور ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ على التَّمييز ﴿قِيلٗا﴾، وفائدتها: توكيد وقوع وعد الله، وافتضاح وعود غير الله؛ فلا يكون إلَّا ما يريد الله سبحانه.

التَّذييل في قوله: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾:

وجملة: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ تذييل للوعد وتحقيق له، أي: هذا من وعد الله، ووُعود الله وعود صدق؛ إذ لا أصدق من الله قيلًا، فالواو: اعتراضيَّة؛ لأنَّ التَّذييل من أصناف الاعتراض، وهو

ترغيبًا في تحصيل وعده الكريم، وتحذيرًا من مواعيد الشَّياطين الكاذبة

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/74.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/74.
(3) النسفي، مدارك التّنزيل: 1/398.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/207.

اعتراض في آخر الكلام، وانتصب ﴿قِيلًا﴾ على تمييز نسبة من أصدق من الله[1]؟ قال أبو السُّعود: "والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشّياطين الكاذبة لقُرنائه، بوعد الله الصّادق لأوليائه، والمبالغة في تأكيده ترغيبًا للعباد في تحصيله"[2].

فجملة ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ مؤكِّدة غاية في البلاغة، أتت تذييلًا لما سبق؛ لتضيف إليه مزيدًا من التَّوثيق[3].

الاستعارة التَّمثيليَّة في قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾:

رسوخ الإيمان بصدق وعد الله، واستقرار ذلك في الذِّهن

وجملة ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ جارية مجرى المثل، وهي على سبيل الاستعارة التَّمثيليَّة، فيكون مورد المثل قديمًا بقدم وعد الله تعالى، وتكون العبارة القرآنيَّة مثلًا لكلِّ حدث يُذكِّر بصدق وعد الله تعالى، فيقول القائل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، فهي استعارة تمثيليَّة، أفادت رسوخ الإيمان بصدق وعد الله، واستقرار ذلك في الذِّهن، والتَّذكير كذلك بوعود الله في القرآن الكريم والسُّنَّة الصّحيحة بأنَّها جميعها من قبيل أصدق الوعود، فلا يتخلَّف وعد عن ذلك قطعًا.

وكَانَ الْأَصْلُ تكرارَ الصِّدقِ بِلَفظِهِ، فَاستُثقِلَ التَّكرَارُ لِلتَّقارُبِ، فَعُدِلَ إِلى مَا يُجَارِيهِ خِفَّةً، ولتُجرى المصادر الثَّلاثة مجرًى واحدًا خِفَّةً وَوَزنًا؛ إحرازًا للتَّنَاسُبِ[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

القيل والحديث:

وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ إخبار بأنَّ حديثه وأخباره وأقواله في أعلى مراتب الصِّدق، بل أعلاها، فكلُّ ما قيل في العقائد

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/207.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/235.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/115.
(4) الزّركشي، البرهان: 2/395.

والعلوم والأعمال، ممَّا يناقض ما أخبر الله به، فهو باطل لمناقضته للخبر الصّادق اليقين، فلا يمكن أن يكون حقًّا[1].

وقد ورد نظير الآية في سورة النِّساء قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النِّساء: 87]، وهذه الآية مطلعها قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء: 87]، ثم تكرَّر هنا الأسلوب نفسه، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122]، فجاء في الأولى ﴿حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء: 87]: عندما شمل الخطاب النَّاس جميعًا، فلمّا توجَّه الخطاب إلى المؤمنين؛ ذكر ﴿قِيلًا﴾، وقد ورد (القِيلُ) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ [الزّخرف: 88]، وقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦﴾ [الواقعة: 26]، وقوله: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: 6].

والحديث: هو الخبر المُتوارد بين النَّاس؛ فذكر قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ﴾ [النساء: 87]، وهو خطاب للنَّاس جميعًا، وهذا الخبر أكثر انتشارًا وتساؤلًا بين النَّاس، فهو من قبيل الحديث بينهم، وكلُّ كلام يبلغ الإنسان من جهة السّمع، أو الوحي في يقظته أو منامه، يُقال له: حديثٌ[2].

أمَّا القول؛ فتسمَّى القصيدة والخُطبة ونحوهما: قولًا، كما يقال للمتصوّر في النَّفس قبل الإبراز باللَّفظ: قولٌ، فيقال: في نفسي قول لم أظهره، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ﴾ [المجادلة: 8]، فجعل ما في اعتقادهم قولًا، كما أنَّه يُقال للعناية الصّادقة بالشَّيء[3]، والمِقْوَلُ: اللِّسان[4]، والقيل: اسم للجمع[5]، أمَّا سبب ورود (قيلًا) في الآية؛ فذلك لاشتمالها على أخبار مؤكَّدة تأكيدات متوالية، فذكْرُ ﴿قِيلًا﴾ مرتبط بسبب التَّكثير من التَّأكيد؛ لأنَّه في مقابلة وعد الشّيطان، ووعد الشّيطان موافق للهوى الَّذي طُبعت عليه النُّفوس، فلا تنصرف عنه إلَّا بعسر شديد[6].

(1) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن: 1/191.
(2) الراغب، المفردات: (حدث).
(3) الراغب، المفردات: (قول).
(4) الخليل، العين: (قيل).
(5) ابن سيده، المُحكم: (قيل).
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 5/410.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»